محمود الشرنوبي

مسار جديد

بسم الله الرحمن الرحيم

مسار جديد

تأليف

محمود الشرنوبي

إهداء

إلى سنين عمري القادمه

وإلى طموحاتي التي تتجاذني فيما بينها.

الفصل الأول

إعتدت يومياً في أول الصباح أن أمارس طقوس بعينها وذلك منذ زمن، أما اليوم فلم أفعل! لم يكن ذلك نسياناً مني أو لضيق الوقت وأيضاً لم أكن قررت ألا أفعل، كل ما هنالك أني أردت ومن صميم قلبي ألا أفعل وأن ألقي بالماضي وبكل ما أحمله على عاتقي من فروض وإلتزامات إختصرتها في أشياء إعتدت عليها يومياً وأقنعت نفسي بأنها تشعرني بوجودي وبذاتي، غير أنها تضايقني وتحملني ما لا طاقة لي به.

فأي طقوس تلك التي قد تزيدنى ثقه بذاتى!

ما هي إلا قيود وأوقات تضيع من حياتي ومكرره دون أي استفاده، وما زادني نفوراً عنها أنها تذكرني بكل لحظه عاهدت نفسي فيها على ألا أعود ثم أكررها، نعم هي قيود غير أني إلتزمت بها إلى أن أصبحت عاده.

هذه المره صارحت نفسي بالحقيقة كامله، قد يكون ذلك نتيجة شعوري بالملل. لا أعرف ما الجديد في نهاري اليوم لأكف عن تلك الطقوس وأفكر بهذه الطريقه! ربما تمنيت ألا أنصت لعقلي ولو ليوم واحد، ثم أقارن نتيجة ذلك بما فات في نهايته!

ثم إرتديت ملابس قد نسيتها منذ فتره، أو عاهدت نفسي ألا يمتد ناظري إليها، ذلك نزولاً على رغبة زملائي في العمل. فلقد تخرجت من الجامعه منذ ثمان سنوات، وفى رأيهم أني شبت على هذه النوعيه من الملابس الشبابيه، وأن مثلي في العمل يجب أن يكون وقوراً!

أي سن وأي مشيب يُحدثوني عنه؟ وأي عمل هذا يقيد صاحبه؟

فلم يشب شعر رأسي إلى هذه الدرجه، ولم أكن من خريجي الجامعه في عهد فؤاد الأول ، ولا أنا ولدت ما قبل الميلاد ولا في زمن أرشميدس!

أعلم أني أعمل في مجال المحاماه، ولكن نادراً ما أذهب إلى قاعة المحكمه، فكل دوري هو دراسة القضية التى تحول إلىّ من الأستاذ من ثم أقدم له عريضه قبل نهائيه أناقشه فيها لربما يضيف إليها من خبراته الفذه، صراحةً انه لم يكن يضيف فمعظم القضايا التي كان يحولها إلينا كانت بسيطه في رأيي، أما القضايا الهامه كان ينهيها بنفسه، ومع ذلك لا أرى داع لإرتدائي ملابس رسميه، سوى أننا دائماً نفعل ما يمليه علينا الأستاذ. وأصبحت أوامره إعتياديه إلى أن فرضوا حول أنفسهم قيود لم تُطلب منهم. أعتقد أنها ردة فعل طبيعيه ليتعايشوا مع واقعهم، ولا داع لأن أذكر تفاصيل فأنا اليوم لا أريد أن أتفوه بكلمات سلبيه حتى لا أُحبَط.

بداية يومي لم تكن إعتيادية وكذلك أريد ليومي بأكمله، وسوف أترك للإيجابيه المجال لتنتشر حولي دون حدود، وكذلك لأفكاري وأحلامي.

أحلامي!!

أين تلك الكلمه من قاموسي التي لطالما سهرت الليالي وأنا أحضر لها وأرتب أمام عيني مشهد يتبعه مشهد وحديث يكمله حديث ونجاح لا يفوقه نجاح وليلة تذهب وأخرى تجئ وأنا فيها على حال غير الذي سبقه، إلى أين ذهبت؟ هل ذهبت سدى؟!

أم أنني قد نسيتها كما نسيت وتناسيت غيرها الكثير والكثير!

تمر عليّ تلك الأحداث والذكريات كأني أمام عمل سينمائي، البطل فيه يحاسب نفسه على أعوام مضت وأحلام لم يعُد يدري أين هي، لا مكان ولا زمان لها من عمره الفائت ولا يعرف ماذا عليه أن يفعل؟

هل يحزن على مامضى من عمره أم يكتفي بما تذّكره وأن له نصيب من أحلام الماضي ليُعلق عليها أمل من جديد؟!

لا يجب أن أحزن على ما فات. كانت أيام رتيبه بطريقه لا توصف، من يوم تخرجت حتى ليلتي السابقه، أما اليوم فأنا لم أعد كما كنت ولن أعود إلى ما كنت عليه سابقاً مرة أخرى.

دقت السابعه والنصف ولم أذهب للعمل إلى الآن.

مضت نصف ساعة وأنا أفكر. أجزم أنها كانت أجمل لحظات مرت بي، أعدت فيها إكتشاف نفسي فيها مرة ثانية. أعتقد أن أفضل الأوقات وأمتعها تلك التي نتعرف فيها إلى أنفسنا.

هذه المره لن أترك تلك اللحظات تمر هكذا هباءاً منثوراً، لابد وأن أحسن إستغلالها.

الآن عليّ أن أواجه نفسي. المكان الوحيد الذى يصلح هو المرآه.

بعد إتخاذي القرار وللمره الثالثه. الثانيه كانت مع بداية العمل في مكتب الأستاذ، أما الأولى فكانت مع إلتحاقي بالجامعه. يالها من تنهيده بها عبق ذكريات الماضي. تغيرت معها ملامح وجهي. ظهرت عليه أثر السنوات الفائته وما فيها من ضحك و بكاء، قوه وضعف، وامتلأ جسمي قليلاً بل كثيراً، وأصبحت لي ملامح واضحه أعُرف بها. سأبدأ في التغيير من الآن.

أعتقد، بل أنا متأكد أن زملائي لن يترددوا لحظه في معاتبتي عن عدم إلتزامي بدستورهم وقد يصل الأمر إلى الأستاذ، فليعاتبوا وليصل إليه الأمر أقصى مايقوم به أن ينظر لي بنظرة المتسائل دون أن يتفوه بكلمه ليبدو غامض. ليته يبقى على حاله هذه إلى الأبد.

سيكون الأمر مقبولاً أكثر لو أني ذهبت إلى المكتب اليوم بمفردي وبدون السيارة ومع كل خطوه شهيق وزفير معهما يتجدد نشاطي وطريقة تفكيري ونظرتي للحياه ولأترك لهم فرصة المقارنه كامله ومن البدايه.

جرس الهاتف يدق ...

لابد وأن مراد يتصل بي لأمُر به ونذهب سوياً للعمل. سأخبره أن السياره تعطلت وسيصدقني بمجرد أن يراني بدونها.

ولكن أين الإيجابيه التي تحوم وتحلق؟! سأخبره بالحقيقه وأني اليوم سأترجل من بيتي وليتصل بأحد الزملاء ليقله، فعلاقته بالجميع طيبه.

- السلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
- إسمحلي فأنا لن أذهب اليوم إلى المكتب بالسياره
- متأكد أنك ستفعل اليوم؟
- وما المانع؟
- من الواضح أنك لم تستيقظ حتى الآن! فلا أنا ولا أنت ولا الأستاذ سنذهب اليوم إلى المكتب. هل نسيت أن الأستاذ دعانا اليوم إلى حفل تخرج إبنه، وقد طلبت مني أن أتصل بك لنشتري الهدايا التي سنقدمها؟
- وهل طلبت منك أن تتصل الآن؟ قبل الثامنه صباحاً!
- لا ولكن بما أننا لن نذهب إلى العمل، حددت لنا موعد مع منتج فني، هو عميل لدينا

• ولمَ؟!

- ألم تتمنى منذ أن عرفتك أن تصبح ممثل شهير، وأنا أيضاً، أريد أن أكون مؤلف شهير للممثل الشهير

• لكنك كنت تردد على مسامعي : ليس الآن

- والآن قد حان!

• أخبرتك بأني أرى في نفسى موهبة التمثيل المسرحي ليس السينمائي!

- ستصبح ما تريد حينما تؤدي ما تستطيع بما هو ممكن

• ومتى سنلتقي به؟

- عند العاشرة، ولكني أردت أن نذهب لنشتري الهدايا لأني لا أعلم متى ينتهي لقاؤنا به، قد تطول فترة وجودنا بشركة الإنتاج

• ما رأيك إن طلبنا من أحد الزملاء تولي شراء الهدايا نيابة عنا، سندفع له بالتأكيد، ثم مر بي لتقص عليّ آخر ما كتبت. على ما أتذكر أنك لم تُعد عنواناً لها حتى الآن.

الفصل الثاني

فعلاً يومي مختلف، ولكن كيف أنسى يوم عطله! مثل تلك الأشياء لا تنسى.

أسمع دقات على الباب، بالتأكيد هو مراد ...

- من الطارق؟!
- أصدق أعداءك
- ا. مراد ! كم أنت محترم ياصديقي. معك القصه أم نسيتها؟

- لست أنا من ينسى، هي لك إقراءها ودوّن خارجاً ما تريد من ملاحظات وسأذهب أنا لأشتري الهدايا

• ألم نتفق على أن أحداً من الزملاء سيتولى شراءها؟

- صراحة .. سأشترى بعض متطلبات المنزل، تريدها زوجتى

• الآن!

- أنت لم تتزوج بعد، وحينما تفعل سيكون ذاك إعتيادي تماماً وستتيقن حينها أنك الآن في حال لا بأس به

• فعلاً لم أتزوج بعد!

- وهل تلك أول مره تلاحظ أنك أعزب؟

• أول مره أنتبه

- يمكنك أن تختار من الحفله من تستحسنها أو تنتظر حتى تصبح ممثل شهير فتشير إليك الفتيات دون عناء منك. لكن لا عليك فكل شئ سوف يأتيك في ميعاده ولن تتذكر أي عناء حينها، فقط إسعى وانتظر مشاهدة النتائج كأنك أمام شاشة تلفاز تستمتع، والآن أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه

• وإياكم

لأرى ماذا كتبت يا ا.مراد في قصتك

....

عُمر كامل. شاب ذو خلق طيب نشأ في العاصمه مع والديه، إلتحق هذا العام بكلية الطب بعد إجتهاد ليصل إلى ما كان يتمناه أبواه وحلما به منذ مولده، أملهما فيه كبير، فقد أولاه رعاية خاصة بما أنه إبنهما الوحيد خاصة وهم أثرياء. هذا الثراء راجع إلى والده الدؤوب بعد فضل الله، وذلك بسبب حبه لعمله وشغفه للعلم فهو دائم القراءة في مجاله بل لا يكتفي بذلك وفقط بل يترجم كل ما يتعلمه لأرض الواقع في عمله، فتعلم الشاب من أبيه الكثير ونشأ أيضاً على حب الإطلاع حتى أنه كان يقضي معظم عطلاته الأسبوعيه والصيفيه على سواء في مكتبة والده، وبالرغم من إنشغال الأب إلا أنه لم يكن يكف عن توجيه إبنه، وكان الشاب يميل إلى الروايات والقصص البوليسيه وينتقى ما يرى أنه يلائمه ويشبع تطلعاته في هذا الإتجاه.

حتى بدأ أول يوم دراسي وكعادته إستيقظ مبكراً، خاصة وأنه يومها كان شغوفاً لما سوف يلقاه. من سيرى؟ وماذا سوف يرى؟ وهل سيروقه ما سيراه ويعايشه في يومه الأول؟

كان ينتظر شروق الشمس حتى تظهر بسرعة البرق ليذهب إلى الجامعه مع أول شعاع نور يتسلل إلى غرفته، وعندما أشرقت الشمس في تلك اللحظات بدأ يستعد، فقام وتوضأ ليصلي ركعتين لـ الله قبل أن يبدأ يومه ويخرج لعالم لازال يجهله وما لبث أن سجد حتى تذكر كل أمنياته فدعا الله أن يحقق جميعها، وبعد أن أنهى الصلاه أرتدى ملابسه وذهب مسرعاً إلى الجامعه.

أثناء ذلك طرق إلى ذهنه سؤال، هل التعليم في بلادنا حقاً في حاجه إلى تغيير جذرى؟ وإلى أي مدى قد يصل؟ أم أنه فقط يحتاج إلى تطوير؟

وكيف لنا أن نتعلم مجال من مجالات العلوم أو غيرها دون أن نتعلم المبادئ الأساسيه وتاريخ العلم ذاته، ولكن دون إطاله أو أن يكون المنهج الدراسي كله مبادئ أساسيه؟!

وإن كان التعليم حقاً عقيم كما نعتقد، كيف تخرج من بيننا العالم والأديب والمفكر والسياسي وعالم الإقتصاد ممن نعرف؟

تبقى نقطة واحده يجب أن أصارح بها نفسي، أن معظمهم أتيحت له فرصة الدراسه أو العمل خارج البلاد العربيه جمعاء.

إذاً نمتلك العقول والمبادئ الأساسية التى تؤهلنا إلى بناء حضاره من جديد بهويتنا الخاصه، فقط نحتاج إلى تطويرها وإمدادها بالخبرات وتزويدها بالإمكانات والتكاتف فيما بيننا.

وما أن وصل إلى باب الجامعه القريب من كلية الطب، دهش مما رآه، فهذه أول مره يدقق فيه ويشعر أن كل هذا ملكاً له ليندمج معه ويكون جزءاً منه.

ما كل هذه العراقه مع أن الجامعه في ظاهرها الحداثه؟ في كل خطوه أخطوها كأني أعود بالزمن إلى تراث أجيال سبقتنا خطواتهم إلى محراب العلم مع بقايا آثار وبصمات لازلنا نجني ثمارها ونتباهى بها دون عناء منا لإكمال المسيره، أود لو أني على أقل تقدير أتبعهم دون أن أحيد وإن حدث فليصل بي الطريق في نهاية المطاف إلى التطور لا إلى إنحطاط فكري أو أخلاقي.

أول آمالي تحقق. أصدقاء الطفوله مجتمعين، ولازالوا يتحدثون عن نيوتن ونظريته. ألا يكفيهم التحدث في ذلك الأمر المكرر؟ ماذا يحدث لو أنهم سألوا

أنفسهم لو لم توجد الجاذبيه من الأساس؟ وماذا ترتب على قوانين نيوتن حتى يومنا هذا؟

تركتهم يتبادلون فيما بينهم القوانين، وخرجت من المبنى الرئيسي، ثم ذهبت إلى مبنى الإداره. بالتأكيد سأجد هناك ما يسترعي إنتباهى أكثر!

علامَ يجتمع هؤلاء؟

- علامَ إجتمعاكم هذا؟

- إعلان الإنضمام إلى فرقة مسرح الجامعه. ففي نهاية كل عام دراسي تقدم الجامعه عرض مسرحي، وعلى من يرغب فليتقدم بطلب غايته نهاية الأسبوع، وخلال الأسبوع المقبل ستعقد لجنة القبول لإختيار الأنسب

- أين يمكنني التقدم بالطلب؟

- الدور الثاني، المكتب المقابل للسلم

لا أعلم لماذا إستفسرت عن كيفية التقدم والإلتحاق بالفرقه المسرحية!

لا أعتقد أنه لمجرد قراءة مجموعه من القصص تمنيت أن أكون أحد أبطالها، لابد وأن بداخلي دافع ما وجهني لذلك، ربما أمنيه قديمه تسللت إلى نفسي في أحلام اليقظه حينما أذهب بمخيلتي بعيداً عن الواقع أثناء ساعات من الوحده. كان لي أحد المشاهد البصريه غير الواقعية وأنا أؤدى دور البطوله واقفاً على خشبة مسرح أراقب تصفيق الجمهور، فتمنيت أن يكون واقعاً أعيشه بجسدي وروحي يمثلهما عقلي ونبض قلبي ليس مجرد خيال فقط لأتخلص من كل هذه الأصوات والمناظر والأضواء الذائفه في عالم اللاوعي.

المهم أننى إفترضت إجابه واحده على الأقل تزيح عني عبئ الأسئلة ولو مؤقتاً كإفتراض مؤلف القصص عندما يكتب، فهو يقضي معظم الوقت بداخل نفسه يتأمل حتى يصل إلى فكره، ومع كل حرف يكتبه تتحرك أصابع يده بقلمه وأعصابه. القلم أداته كعقله اللاواعي، يحركه حيثما يريد وحسبما يختار وينتقي من الواقع والخيال ويدمجهم في إطار واحد.

حينما تقدمت بطلب الإنضمام للفرقه المسرحية، طلبوا مني الحضور يوم الإثنين القادم للإختبار.

الفصل الثالث

يحين اليوم موعد إنعقاد لجنة الإختبار، برغم أني قليل الحفظ للعبارات والمشاهد المسرحيه والسينمائيه حتى للقصص التي قراءتها، فأنا حينما أقرأ لا أهتم بحفظ ما قراءته إنما أستمتع به وأترك لخيالي الفرصه ليذهب أينما تمنى أن يذهب في واقعى ولم يستطع. وبرغم هذا لن أتردد هذه المره نهائياً في أن أترك لخيالي الفرصه والمجال ليذهب أينما أراد. على أي حال يجب أن أجمع قواي وأستعد جيداً ثم أنتظر النهايه.

وتقدمت إلى اللجنه ...

- السلام عليكم .. اسمي عُمر كامل

- هل قدمت أدواراً في أي مشاركه سابقاً؟

- هذه أول مره

- ولِمَ تقدمت هذه المره؟

- هذا عامي الأول بالجامعه ، وأتمنى أن يكون مختلفاً عما مضى من حياتي

- وليكن، قف بداخل ذاك الصندوق

- وماذا بعد؟!

- أنت من ستخبرنا

نظرت إلى ما أشاروا عليّ به ثم تقدمت نحوه بخطوات حاولت أن تكون ثابته دون بطئ فتكون كأنها ردة فعل طبيعيه نابعه من داخلي وعن مهاره فلا يظهر عليّ التردد أو التفكير. ما يسعني وصفه أنه عباره عن ثلاثة أجناب تحيط بمساحة لا تتعدى المتر المربع. وحينما إستقريت بداخله تخيلته مصعد، وتذكرت أحد المشاهد السينمائيه المكرره، تعطل فيه المصعد بأحدهم بين

طابقين ثم بدأت عيناه تزيغ يميناً ويساراً كأنه يسأل ويبحث عن إجابه ثم بدأ يتلفت حول نفسه بسرعة ليجد أي شئ قد يساعد ولكن من الواضح أن الكهرباء لم تعد تغذي أي جزء داخل المصعد، فأمسك بالهاتف ليتصل بمن يساعده ويخبره بوجوده داخل المصعد ليسرع في المساعده وبينما هو على تلك الحال بدأ على وجهه الإختناق وبدأ يتصبب عرقاً وازدادت دقات قلبه وظهر ذلك جلياً في حركة قفصه الصدرى السريعه ليتمكن من إلتقاط أنفاسه ثم عاد ثانية ليحرك رأسه يميناً ويساراً كالمجنون بطريقه لا إراديه لا يعرف ماذا سيحدث وأثناء ذلك كله شعر بحركه فجائيه للمصعد وإذا به يلتقط أنفاسه بهاوده ليطرد الخوف الذي سكن داخله في لحظات، وكان ذلك نتيجة إعادة تشغيل محرك المصعد، ثم بدى على وجهه الهدوء وعاد إلى طبيعته.

وما لبثت أن أستعدت قوتي معتدلاً بعد أن ألقيت ظهري على أحد الأجناب، وجدت أحد الأشخاص من اللجنه يصفق، حينها أستوعبت أننى لعبت دوراً لا بأس به أو ربما أراد مني التوقف عن هذا العبث، ثم صافحتهم وخرجت.

لم يكن ينتابني حينها أي شعور سواء بالسعاده أو بغيرها فقط كنت أنتظر بالخارج مع باقي الزملاء لحين إعلان النتيجه، أثناء ذلك تعرفت على

الآخرين، فالعدد لم يكن بالكثير. تجاذبنا أطراف الحديث عن ماذا قدم كل منا؟ وكيف أدى ما طلب منه؟ وهل تجاوب معه أعضاء اللجنه؟

منهم من أدى دور السجين، وآخر ظهر بدور فقير يسكن في ذلك المكان الصغير فكان يؤدى معظم إحتياجات يومه من مأكل وقراءه ومحادثه هاتفيه بإنفعال متأثراً بضيق المكان.

غير أني لم أفعل، ولم أخبرهم!

وعندما حانت لحظة إعلان النتيجة، لم أكن الأول وكذلك لم أكن الثاني ولكني كنت الثالث، وعلمت أن بعد غد موعدنا مع توزيع أدوار المسرحية. أما الآن كان يجب أن أتوجه مسرعاً للمدرج لحضور محاضرة اليوم.

وبعد أن إنتهت المحاضرة التي لم أستمع فيها نهائياً للمحاضر، فكل ما كنت أفكر فيه طوال اليومين الفاصلين عن الموعد هي المسرحية وماذا سيكون دوري؟ غير أني كنت أفكر في شئ آخر بجانب ذلك وهذا ما اعتقدته، لكنها ربما كانت الأعراض المصاحبة لحاله الانتظار التي أمر بها.

وعندما حان موعد توزيع الأدوار كان علىّ أن أتوجه للمسرح ولكني كنت أشعر بالقلق يحاوطني، حاولت أن أسيطر عليه حتى لايظهر ذلك في تعابير وجهي أو بعض حركات جسدي غير المتجانسه.

وصلت إلى المسرح وما أن حان دوري مد أحدهم يده لي متراص فوقها مجموعه من الملازم وطلب مني أن ألتقطها. ثم قال بصوت جهورى : موعدكم غداً بعد أن تقراءوا المسرحيه كاملة.

غداً! وكامله! هل نستطيع قراءة كل هذا الكم في ليلة واحدة؟!

جميعنا خرج دون أن يتفوه أحدنا بكلمه، كل له وجهته! خرجنا دون أن يلتفت أحدنا للآخر، كل منا كان ينظر إلى تلك الملازم وكأنه يحدثها ويقول : كيف سأنتهي من قراءتك في ليلة واحده؟

لو أن ذلك مشهد النهاية بالمسرحية، لصفق جميع الحضور في تأثر بالغ بما شاهدوه، خاصة مع حركتنا البطيئه تلك ونظراتنا جميعا تجاه الملازم والتى ينبثق منها سؤال واحد، وخروجنا فى آن واحد كحبات العقد المتناثره.

توجهت إلى المنزل مسرعاً لكي أبدأ في قراءة المسرحية لأنتهي منها كامله قبل أن تشرق شمس غد.

وما إن وصلت للمنزل توجهت إلى غرفتي وافترشت الملازم على الأرض وكررت النظر إليهم لأتخيل أنى أؤديها أمام كثير من الحضور. وأنا لا أعلم ماهى قصة المسرحية!

وعندما تنبهت للوقت الضائع ألتقطت ملزمة الفصل الأول وتصفحت الورقة الأولى ثم تتابعت في يدى الأوراق وانتهيت من الفصل الأول ومن الثانى ومن الثالث حتى إنتهيت من فصول المسرحية كاملة، وسمعت آذان الفجر. حينها تذكرت أول يوم لإلتحاقي بالجامعه عندما دعوت الله في سجودى أن يحقق لي كل أمنياتي، فسجدت وشكرت الله على ما تحقق حتى الآن ورجوته أن يُعني ويوجهني لما فيه الخير ثم سمعت صوت هاتفي، ولكن من يتصل الآن في الخامسه والنصف صباحاً!

- السلام عليكم

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. د. عمر؟!

- د. عمر!

- خالد عبد الرحمن. هل إنتهيت من قراءة المسرحية؟

- نعم إنتهيت منذ قليل

- ألا تتذكرنى! لقد تعرفنا يوم إنعقاد اللجنه وسجلت رقم هاتفك

• كيف حالك؟ هل أنتهيت أنت أيضاً؟

- بخير والحمد لله، إنتهيت ولاحظت أن المسرحية متشابكه إلى حد كبير فأي دور تتمنى أن تؤديه؟

• بالتأكيد دور البطوله

- أعتقد أن معظم الأدوار لها نفس القدر من الأهميه

• بالتحديد الصديق الوفي، وأنت!

- الملاكم

• يتبقى دورا المدرب والضابط

- ما رأيك إن مررت بك وذهبنا سوياً إلى الجامعه طالما أن موعدنا في المسرح أولاً

• أشكرك على عرضك ولكني سوف أقّل أخي لمدرسته وهى بعيده، سنلتقي بمسرح الجامعه.

الفصل الرابع

المسرحيه تتلخص في الآتي : ملاكم توقف عن ممارسة هوايته المفضله وعشقه بعد تدريب سنوات وقبل أن يحقق مبتغاه مع أول جوله عندما وجد نفسه وسط جمهور متلهف لمعرفة المنتصر والمهزوم بين اثنين يقفا بداخل حلبة محاطه بحبال محذور عليهم تجاوزها، يتوسطهم حكم يفرض سلطه داخليه ليبدء أحدهم في الهجوم ويتعاملا بمبدأ حيواني صرف حتى وإن تضرر أحدهم المهم أن يعلن إنسحابه أو ينتهي الوقت المحدد دون إراده منهما ليكون هذا القتال هو المبتغى نتيجة للوهم الذي ساد منذ قرون ليكونا مجرد أداه تستعملها الحكومات في تغييب العقول باستهلاكها، مثل الفن الهابط الذي أصبح العامل

الأساسي في التبجح بسلوكيات هدامه جرت ويلات نعيشها بدلاً من التوعيه بأخطارها، وكالكتب الفارغه التي لا تحوي مفتاح باب مغلق يهدف للوعي أو المعرفه، وها هي المباريات بين فريقين باختلاف أنواعها بداية بكرة القدم مروراً بالمصارعه وصولاً للملاكمه. ليتمكن الشر منه بعد ذلك حتى أنه آذى نفسه وامتد شره للمحيطين به ولم يعد يرى سوى نفسه ومصلحته وأن كل شئ يراه من حقه فهو كذلك وله أن يحصل عليه بأي وسيله. وصديق وفي على الدوام يتوقف عن المسانده المستمره بعد إستشعاره بالخطر على نفسه، ليقرر مواجهة صديقه بسلوكياته التي أصبحت مناقضه لمبادئه.

- هل إنتهيتم من قراءة المسرحية؟ بداية أعرفكم بنفسي

د. أحمد بدران – مدرس بمعهد الفنون المسرحية، وسأتولى تدريبكم على أداء الأدوار. حان دوركم الآن لتعرفوني بأنفسكم. كل منكم يذكر اسمه وسنه بالإضافه لمجال الدراسه وأين ولد وأين يعيش الآن وذلك فى حالة إن كان أحدكم من الطلبه المغتربين أو ما إلى ذلك، بالطبع دون أن يذكر العنوان تفصيلياً

في البدايه كنت متحير من كثرة أسئلته، كل ذلك دون تفصيل وفقط! أرى أنه لا حاجه في معرفة كل ذلك؟

وبعد أن إنتهينا قدم لكل منا ملزمه في ظاهرها التشابه ولكن مع التدقيق في عدد أوراقها تبدو مختلفة الحجم، وطلب منا ألا نتصفحها ثم قال :

- ما بين أيديكم الآن توزيع نهائي للأدوار، لكن لو أني تركت لكل منكم حرية الإختيار لتنتقوا الأدوار، أي دور سيختار كل منكم؟

لمَ يسألنا عما كنا سنختار، بما أنه فعل؟

وبعد أن أخبره كل منا عما تمنى وأراد لنفسه، طلب منا أن نتصفح الملزمه ونقرأ أول ورقة منها، وفعلنا. كان دوري ما لم أتمناه على الإطلاق، ولا أعلم على أي أساس خصني به، وكيف سأقوم بهذا الدور؟

- كما أخبرتكم من قبل، ذلك هو التوزيع النهائى للأدوار

لعلكم تتسألون الآن عن كيفية تقسيمي لها، سأجيبكم عن ذلك. فمن خلال لقائي بكم المره السابقه وخلال إنعقاد اللجنه أستطعت أن أستشف شخصياتكم، ثم أسندت إليكم ما هو أبعد عنكم في الحقيقه فأنتم عند إعتلائكم خشبة المسرح لن تقابلوا أقربائكم لتثرثروا معهم عن حيواتكم الشخصية ولكن أريد منكم أن تتجردوا من كل ذلك وتتقمصوا تلك الأدوار البعيده عنكم والتي آمل أن أكون قد وفقت في توزيعها عليكم

والآن لديكم خمسة دقائق تتحاورون فيها لحين أعاود ولكن قبل ذلك سوف أخبركم بأمر "من أفضل الأشياء في المسرح أنك تعيش أكثر من حياه من لحظة الميلاد حتى الممات والأفضل أنك تعلم وقت الفقد قبل حدوثه والأغرب أن تستعد له وتحتار في ردة فعل تتجاوب مع الحدث" لديكم خمسة دقائق

وما إن إنتهى، ذهبت إلى خالد لأسأله عن دوره لعل نصيبه يكون فيما تمنى وأراد لنفسه.

- ماذا وقع عليك من إختيار د. أحمد؟

- فلتخبرني أنت أولاً؟

- فضحكت إلى أن فهم ما أقصد، ثم أشار كل منا إلى الآخر

- دور الملاكم

- الصديق

وابتسمنا ولانعلم إن كانت تلك ردة فعل طبيعيه لما حدث أم لا؟

فلقد وقع عليّ من إختيار د. أحمد دور الملاكم، وخالد دور الصديق.

تبدلت الأدوار كما لو أن د. أحمد يقصد دون أن يدري أن يعكس إختيارنا، ومع ذلك أرجو أن يكون أحسن الأختيار وأن يكون هذا الرجل يستطيع أن يقرأ الناس بوضوح كما زعم.

ثم سمعت صوت د. أحمد يتحدث مع أحد الزملاء، فعدت إلى مكاني وخلال مروري بين الزملاء سمعتهم مجتمعين الرأي على أنه بذلك جعل الأدوار تمثل صعوبه بالنسبه لهم.

وإذ به يقول :

- تمثل تحدي. ثم انكم هنا لتتدربوا على أداء جميع الأدوار ليست مجرد مسرحية وننهيها، ولتتحدوا أنفسكم قبل أي شئ

تحدث هذه المره بإنفعال ظهر فى حركات جسده غير المتوائمه ثم سكت الجميع إلى أن قال :

- ستكون هذه آخر مره أترك لكم فيها حرية التعبير، ومن منكم لا يريد أن يكمل معي بهذه الطريقه، فليجد مكان آخر يتدرب فيه على ما يشاء غير هذا المكان! أما من يرى في ذلك صعوبه، فهذا هو دوري معكم

أخشى ما أخشاه أن يكون ما يفعله فقط لفرض رأيه وسلطته علينا! ليكون الآمر الناهى كديكتاتور متسلط، هذه الشخصيه لا أحبذها نهائياً كونها تحب الظهور وتفعل ما تفعل لتكون هى كل شئ ومن بعدها الطوفان ولا خير يرجى منها، وتقنعك أن ما كل تفعله من أجلك. على كل حال إن تكررت طريقته هذه مرة أخرى سوف أترك هذه الفرقه نهائياً وسأقنع زملائي بذلك

ليدرب نفسه حينها فأنا لن أسمح لنفسي أن تكون على قدر من البلاهه والسذاجه تعميني عن حقيقته لمجرد وهم بالخوف أو قلة الحيله. فكما يقول والدي الحيل كثيره المهم أن نهيئ لها الفرصه بأنفسنا. وسيبقى له عندي أسف على نفسه التي صورة له أن الديكتاتوريه مطلوبه بداية من التعامل الذي لا يرقى لمستوى إنساني حتى الأثره بالرأي وفرضه دون مراعاه لأولويات.

ثم وزع علينا ورقه وكانت تلك الورقه فيها أوقات التدريب مقسمه إلى جزئين، الجزء الأول لمن تبدأ محاضراته في الثامنه ليكون تدريبه في السابعه، وفي الجزء الثانى التدريب يتبع سابقه بساعه ليكون في الثامنه، وطلب منا أن يدون كل منا اسمه في الموعد الذي يناسبه.

أعتقد أنه في الخمسة دقائق التي خرج فيها كان يحضر لذلك، مبدئياً هو ذكي ويحترم الوقت.

ثم توجه إلينا وبدأ يتصفح الملازم إلى أن يصل لأحد الحوارات فيحدده ويطلب من أحدنا أن يؤديه أمام الجميع، منا من أتقن والبعض الآخر لم يحسن الأداء، أما عني فلا أدري فهو لم يخبرنا برائيه، وبعد أن إنتهينا طلب أن نحفظ الملزمه الخاصه بكل واحد منا وموعدنا مع التدريب بداية الأسبوع المقبل.

بدأت أقرأ الملزمه مراراً حتى حفظتها تماماً، إلى أن حان موعد التدريب وذهبت إلى المسرح، وقابلت خالد ووجدنا د. أحمد قد سبقنا إلى أن لحق بنا شخص آخر.

ولما علم د. أحمد أني تعرفت إلى خالد طلب مني ألا أتعرف على ثالثنا وألا أتقرب إليه نهائياً وطلب منه أيضاً ذلك، وقد علمت فيما بعد أنه يقوم بدور الضابط وبما أنى أقوم بدور الشر كان يجب أن يكون بيننا نحن الإثنين خاصة مسافة تمثل البعد ليظهر ذلك جلياً في نظراتنا على حد قوله.

مضت الأيام على هذا المناول، يتدرب ثلاثتنا ثم يتبعنا الآخرون. في البداية أعتقدت أن عددنا سيزداد إلا أن ذلك لم يحدث، على ما يبدو أن باقى الزملاء لم ترق لهم فكرة الإستيقاظ مبكراً.

أكملنا التدريب يومياً دون توقف حتى في العطلات كنا نتدرب بالساعات ولكن مجتمعين، ومع ذلك كنت عندما أذهب لمنزلي أكمل تدريبي حتى أن ذلك بدى على وجهي تدريجياً، ولاحظ زملائي ذلك لكنهم لم ينبهونى ربما ظنوا أني أتقمص الشخصيه لا أكثر، إلا أن والداي لاحظوا فنبهوني لأن تفكيري بدأ يتغير وظهر ذلك في تصرفاتي وبدأوا يتحدثون معي ويطلبوا مني مراراً أن أفرق بين دوري وشخصيتي في المسرحيه، حتى أن د.أحمد لاحظ

ذلك لكنه لم ينبهني هو الآخر، كأنه رأى في ذلك نجاحاً له، أما عني فمن داخلي كنت سعيداً مثل د.أحمد حسب ظني لما ألاحظه ممن حولي وإن كنت أتغير بتصرفاتي إلى الأسوأ.

مرت الأيام على هذا الحال وسط إنتباه زملائى وإندهاشهم وطلب والداي بالفصل بين دوري في المسرحيه وشخصيتى إلى أن وصل الأمر إلى تذمرهم وطلبوا مني الإعتذار عن دوري فإما أن أطلب من د.أحمد أن أبدله أو أنسحب ولكني طمئنتهم بأن هذا لن يطول.

إلى أن رأيت أحدهم يتدرب على دوري. وما إن شككت في الأمر، بدأت أفكر كيف أوقع بينه وبين د.أحمد دون أن أسأل نفسي سؤالاً واحداً قبل أي شئ آخر. إن كان هذا يحدث فعلاً أم لا؟

إلى هنا لم يصبح الأمر مجرد فتره أو مجرد تقمص لشخصية، وكأن الشر تمكن مني فعلاً. وبدأت في التخطيط للإيقاع فيما بينهما رغم عدم تيقني من أي شئ، فجميعها إحتمالات.

وأصبحت أكرر على مسامعي متى تسنح لي الفرصه سوف أبدأ في التنفيذ بل أنا من سيصنع الفرصه ولا مجال للإنتظار!

وفي أحد الأيام كنا مجتمعين لنتناقش حول التفاصيل النهائيه إستعداداً لظهور العمل في ثوبه الأخير. ورأيت نفس الشخص يقف مع د.أحمد يتجاذبان أطراف الحديث فتقدمت بعض الخطوات غير المحسوسه وبدأت أراقبهما لأعرف علامَ يدور حديثهما إلى أن وجدت خالد يقف بجانبي ثم أشار لهما وقال بصوت مرتفع :

- أعرفك على كاتب المسرحيه. ألن تخبره برأيك فيها يا عُمر؟!

الفصل الخامس

كيف يحدث ذلك دون أن يتنبه عمر لذاته؟ وماذا حدث بعد ذلك؟ ولمَ لم يكمل مراد باقي القصه؟

الساعه العاشرة والنصف! موعدنا! يجب أن أتصل بمراد.

- السلام عليكم، لماذا تأخرت؟ ألم يكن موعدنا في شركة الإنتاج العاشره؟

- وعليكم السلام، تسألني أين كنت! هاتفتك أكثر من مره ولم تجب

• كنت حيثما تركتني في المنزل، أقرأ قصتك

- وكعادتك أغلقت الهاتف!

• نعم وأعتذر عن ذلك

- بغض النظر، لقد إتصلت بهم وطلبت تأجيل الموعد لإنشغالى أيضاً بحضور إجتماع طارئ بمدرسة ابني أدهم. لا عليك من كل ذلك فأنا في طريقي إليك

وريثما إنتهيت من مهاتفتي معه بدأت أتسأل أي عنوان سأختار للقصه؟

ولكن قبل ذلك يجب أن أفكر في النهاية المناسبه، بل من الأفضل أن أكتب أكثر من نهايه ونختار أفضلهم فيما بعد.

أولهما :

يستمع عمر لنصيحة والديه ويعتذر عن إكمال دوره، فهو لازال في التدريب وتحول بطباعه إلى الأسوأ ولم يعد قادراً على التحكم في تفكيره بل وتصرفاته. يحاول أن يتخلى عن كل ذلك ليبدأ صراع بداخله بين أن يبقى وأن يتجاوز هذه المرحله وينسحب.

ثانيهما :

لنفترض أنه لن يحدث بعد ذلك الموقف وتلك الصاعقه التي نزلت به من كلام خالد ولن يكرر أخطاءه، فلابد وأن يستوعب المطلوب منه وهو تقمص الشخصيه لا أن ينغمس في الدور دون أن يدري. كما كان لابد وأن يبدأ بتعلم ذلك ما إن بدأ بتدريباته مع د.أحمد، ومن هنا تبدأ المواجهه مع د.أحمد بسبب تقصيره في هذا الجانب.

مراد ينادي ...

- هل إخترت عنواناً لها؟
  - إختيار!
- فليكن والآن إرتدي ملابس مناسبه لنذهب إلى الحفل ثم تخبرني برأيك عن القصه في الطريق
  - الآن!
- نعم، سوف تبدأ الحفل بعد نصف ساعه وتنتهي في الثالثه عصراً

• هيا بنا. أكثر ما أثار إنتباهي وأعجبني في القصه تعامل د.أحمد وحدة ذكائه التي يستخدمها لصالحه، أيضا محاولة إتقان عمر لدوره.

- ولكن ألم تعجب أنت للآن بإحداهن؟

• بدأت أفكر في ذلك من اليوم

- اليوم! يبدو فعلاً أن القصه أثرت فيك

• ولكن إخبرني أولاً، لماذا إخترت لعمر أن يكون طالباً بكلية الطب؟

- من وجهة نظري، أن طلبة الطب درجة تقبلهم وتكيفهم مع الواقع ومتغيرات الأمور عاليه لتعاملهم ومعرفتهم الجيده بالماده والإنسان وفيهما يكمن سر الحياه

• بما اننا على مقربة من منزل الأستاذ، يكفينا الآن حديث عن -إختيار- ولأخبرك أنا بقصتي

- قصتك؟!

• سأحكي لك بالداخل

- ألن تأتي معى لتقديم الهدايا

• إذهب أنت لتقدمها، فالأستاذ رأنا سوياً وهذا يكفى، أما أنا فسأبحث عن أماكن لنجلس

ثم عاد مراد بعد دقائق

- لمَ إنتظرت هنا واقفاً، ألم تخبرني بأنك ستبحث عن مكان لنجلس؟
  - هل تعرف هذه الفتاه؟
- أعتقد أني رأيتها مره، ربما تكون إحدى العملاء لدينا
  - هي من أقرباء الأستاذ وتعمل مع زوجته، وبالفعل جاءت إلى المكتب لدينا مرتين
- إستقصاء جيد، وماذا بعد؟
  - منذ أول مره رأيتها، وجدتها تشبه من في مخيلتي، وقد تكون بطلة لقصة حياتي، لكني لن أكون كبطل قصتك متأثراً فقط
- وعلامَ تنوي؟
  - بما أن زوجتك مقربه من زوجة الأستاذ، سوف يكون لها دور في الخطوه الأولى
- لكنك لم تخبرني عنها من قبل! وماذا عن موعدنا مع شركة الإنتاج؟
  - لم أطلب منك المساعده في الإستقصاء عنها حتى الآن، كي لا تذكرني بذلك وأتراجع
- هل للقصه دور في إتخاذ ذاك القرار؟

- نعم، أثرت بى قصتك لذلك قررت أن أتزوج وأنشئ عائله مكونه من فردين مبدئياً، أما عن موعدنا مع المنتج فأنا لن أذهب
- ولكنك تساعدني على الكتابه، نخطط معاً ونعمل سوياً على وضع الخطوط الرئيسيه للعمل وإظهاره بصوره جيده في النهايه كما حدث مع – إختيار –
- وسأظل، أما أفكارك فهي أساس البناء ونصيحتي لك ووصيتي أن البشريه على حد سواء في حاجه إلى تذكره بالأخلاق لبناء إنسان سوي بقدر مانحتاج إلى العلم

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أحمد شوقي

والأمثله أمامنا كثيره .. اليابان والصين وماليزيا وسنغافوره وغيرهم كل واحده منهم إهتمت بالتنشئه أخلاقياً في تعليمهم بداية من أداب التعامل فأسسوا روح بداخل الطفل تكبره بعشرين عاماً، ثم يتأتي من بعد ذلك دور العلوم فهي بدون أخلاق كأرض بور لن يكتمل

الإستفاده منها ويهلك بها صاحبها أولاً، أما بوجودهما مجتمعين وجد ما يمكن بناءه وما يستطيع حمايته

أما أنا ياصديقى فلا أريد أن أحيا حياة وهميه، تبهرك من الخارج من بريق الأضواء والشهره والمال ومن نظرات الإعجاب الخادعه والمؤقته، أما عن داخلي أحدثك ولا حرج يكفي أولا أني أعلم أن ذلك كله ذيف، ومع كل مساء أتلون كالحرباء إرضاءاً لكل طرف أبحث عن شئ لا وجود له داخل ذلك المستنقع لأطلب المزيد والمزيد ولا أنتهي حتى أدمن الطريق وأهيم فيه دون وجهه محدده غير شهوة الشهره والمال

سوف أخبرك شيئاً كثيراً ما أحاول إخفاؤه عن نفسي. أحيانا يراودنى شك وسؤال فى نفس الوقت، هل أحلامنا التي يخبرونا ويجبرونا على أن نلاحقها مجرد وهم؟!

وهم يصدره لنا أصحاب السلطه والمال والشهره كي نعيش داخل ذواتنا مع الخيال. نحلم ونحلم دون أن نمس واقعهم أو نزحزحه طرفة عين فيظلوا هم على حالهم ويزداد حالنا سوءاً، وإن فعلنا وتبعنا تلك الأحلام التى يلقنونا إياها ليل نهار نكون بدأنا من أسفل سافلين فنسحب

المجتمع كله معنا لئلا نكون أفضل حالاً منهم. مجرد سؤال لا أعلم إن كانت له إجابه أم لا

ومع هذا لا أخفيك أن هذ الشك لن يضعفني بل يزيدني تمسكاً بطموحاتي التى لم أعثر عليها إلى الآن، لكني سأبحث عنها بداية من تاريخ أجدادي حتى طفولتي، لأفسد عليهم مخططاتهم إن كانت شكوكي صحيحه

أما أنت فلتفعل ما تريد ببطل قصتك. وفقك الله وسدد خطاك ياصديقي.

خاتمه

إن كنت تبحث عن حقيقه تربو إليها فعلاً، يجب أن تبحث عن كونك وماهيتك أولاً. ولتعلم أن ذلك من أصعب الأمور التي ستواجهها طوال حياتك لكنها من الضروريات، ولتسهيل ذلك عليك. فمن الحقائق التي وصل إليها السابقون وستؤكدها بنفسك يوماً ما، أن البشر جميعاً يبحثون عن راحة البال ويرونها في السعاده، والسعاده لن تكون إلا في قرب الخالق، ولن نصل إلى تلك المرتبه إلا بالتقوى وتلك التقوى لن تتحقق إلا بإخلاص النيه ومعرفة الوجهه والسجود بين يديه، وبإحسان العباده. لنتحكم في أنفسنا ونعي ما يدور حولنا.

ربما يعلم بذلك الجميع ولكن من منا يظل على تلك الحال ولا يفارقها إلا المخلَصون، ولذلك تجد منا من يهون عليه الأمر لعدم صبره ولغلبة نفسه عليه،

ليخفيها داخل نفسه ويعاود ليسأل، أين الحقيقه؟ وما هي؟ رغم علمه بها ليبرر لنفسه ذلك التخبط الذى يعيشه والضعف الذي تمكن منه.

ولذلك عليك أن تعرف وجهتك من البدايه، وأن تحتفظ بها في مكان أمين، ليكن قلبك، ورددها على مسامعك حتى تستقر في عقلك وتصبح حقيقه ثابته، ولينير الله بصائرنا ويثبتنا.

وحينما تبدأ في التفكير للوصول إلى حقيقه ما، لا يكن همك أن تجد المهرب سريعاً. أولاً انظر إلى الصورة بكاملها ثم ابحث ودقق في التفاصيل، ليس لمجرد إلقاء اللوم أو إلصاق التهم بأحدهم، إنما لتصل النقاط ببعضها فتصل بك إلى مسار جديد يدلك على إجابة سؤال، من المستفيد؟ مع إحتمالية وجود المزيد دائماً.

المحتوى

صفحه

إهداء ٣

الفصل الأول ٤

الفصل الثاني ١١

الفصل الثالث ١٨

الفصل الرابع ٢٥

الفصل الخامس ٣٥

خاتمه ٤٣

محمود الشرنوبي

مسار جديد

حينما تبدأ في التفكير للوصول إلى حقيقة ما، لا يكن همك أن تجد المهرب سريعاً. أولاً انظر إلى الصورة بكاملها ثم ابحث ودقق في التفاصيل، ليس لمجرد إلقاء اللوم أو إلصاق التهم بأحدهم، إنما لتصل النقاط ببعضها فتصل بك إلى مسار جديد يدلك على إجابة سؤال، من المستفيد؟ مع إحتمالية وجود المزيد دائماً.